

الوافي في الوفيات

وَإِذَا مَا رُمْتُ سَعْيًا خَانَنِي ... عَظُمُ سَاقٍ وَرَبَاطٌ وَوَتَرٌ .
تُرْءِشُ الْأَقْدَامُ مِنِّْي وَأَنَا ... مِنْ صُعُودِي وَحُدُورِي فِي خَطَرٍ .
وَإِذَا اسْتَنْجَدْتُ عَزْمِي قَال لِي ... عِنْدَمَا أَدْعُوهُ كَلَّا لَا وَزَرَ .
قال ابن طايفر : أخبرني الشريف أبو البركات العباس بن محمد العباسي الحلبي قال :
كنت ليلةً مع جماعة من أصحابنا بحلب عند رجل من أهلها يعرف باللطيف السراج ومعنا سعيد
الحريري الشاعر الحلبي وكان سعيد هذا يعشق غلاماً للأمير ابن كلج يُسمّى البقش
وكان قد وعده تلك الليلة أن يصير إليه فراح من عندنا فلما كان بعد ساعة وافق
منه إلى اللطيف قطعة يصف فيها ما جرى له معه وذكر أنه صنعها بديهة : وهي من
البيسط :

قُلْ لِّلْـلَطِيفِ كُفَيْدًا مَا نَحَازِرُهُ ... فِي مَجْدِهِ وَأَمْنًا مَا عَلَايَهُ خَشْي .
وَعَاشَ كُلُّ وَدُودٍ مِنْ صَنَائِعِهِ ... فِي ظِلِّ دَانِيَّةٍ مَمْدُودِ الْعُرْشِ .
عَلَيَّ يَا ذَا الْمَعَالِي نُمِيتَ عَنْ قَمَرٍ ... نَادِمَتْهُ خِلَاسَةٌ فِي الْغَيْهَبِ
الغَطِشِ .
فِي لَيْلَةٍ جَمَعَتْ شَمْلِي بِهِ غَلَطًا ... فِي مَجْلِسٍ كُنْتُ قَاضِي حُكْمِهِ
الْجَرَشِيِّ .

فَلَاؤُ تَرَاني وكأس الراح فِي يَدِيّ ال ... يُمْنِي ويسراي فِي دَبُوقَةِ الْبَقَاشِ .
لَكُنْتُ تَعُوجِبُ مِنْ صَفَرَاءَ صَافِيَةٍ ... دَرِيافِهَا جَسَّسَ الرَّحَاوِي عَلَى الْخَنَاشِ .
والراح قد راحه سلطانُ سَوَرَتِهَا ... فَمَدَّ خَوْفًا إِلَيْهَا كَفَّ مُرْتَعِشِ .
وَجَمَّ شَتُّهُ حُمَيَّاها وَمَالَ بِهِ ... يُكْرُ فَقَبَّحَتْ خَدًّا بِالْعِذَارِ وَشِي .
فَإِيَّ مَكْرُومَةٍ لِلرَّاحِ إِذْ جَعَلَتْ ... مَنْ كَانَ مُفْتَرِسِي بِالْحِطِّ مُفْتَرِشِي .
لَكِنْ بُلَايْتُ بِعُضْوٍ نَامَ عَنْ أَرْقِي ... وَكُنْتُ أَعْهَدُهُ كَالْأَرْقَمِ الرَّقْشِي .
فَطَلَتْ أَعْتَبِيهِ طَوْرًا وَأَعْذُلُهُ ... وَسَمِعْتُهُ قَدِ رَمَاهُ بِالطَّرْشِ .
وَاحْتَوَيْ بِالرُّقَى مَصْرُوعَةً وَأَبَى ... أَنْ يَسْتَفْهِقَ مِنَ الْإِغْمَاءِ مُنْذُ غُشِي .
والجرشي الذي ذكره رجل من أهل حلب قلت : كذا قال ابن طايفر وأنا أظن هذا الشاعر
هو هذا سعيد بن علي بن لؤلؤ وإني أعلم .

رشيد الدين الباصروي .

سعيد بن عليّ بن سعيد العلّامة رشيد الدين أبو محمّد البصري الحنفي مدرّس الشليّة .
كَانَ إِمَامًا مُفْتِيًا مُدَرِّسًا بِصِيرًا بِالْمَذْهَبِ جَيِّدَ الْعَرَبِيَّةِ مَتِينَ الدِّينِ شَدِيدَ الْوَرَعِ
عُرِضَ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ أَوْ ذُكِرَ لَهُ فَاِمْتَنَعَ قَالَ شَمْسُ الدِّينِ ابْنُ أَبِي الْفَتْحِ : لَمْ يَخْلَفْ
الرَّشِيدَ سَعِيدَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ فِي الْمَذْهَبِ وَكَانَ خَبِيرًا بِالنَّحْوِ وَكُتِبَ عَنْهُ أَبُو الْخُبَّازِ
الْبَرْزَالِيُّ وَتُوفِيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ . وَمِنْ شَعْرِهِ مِنَ الْكَامِلِ :

إِسْتَجَرْتُ دَمْعَكَ مَا اسْتَطَعْتُ مَعِينَا ... فَعَسَاهُ يَمْحُو مَا عَيَّيْتُ سَنِينَا .
أَنْسَيْتَ أَيَّامَ الْبِكَاكَةِ وَالْهَوَى ... أَيَّامَ كُنُوتِ لَدَى الضَّلَالِ قَرِينَا .
وَمِنْهُ مِنَ الطَّوِيلِ :

أَلَا أَيُّهَا السَّاعِي عَلَى سَنَنِ الْهَوَى ... رُوَيْدُكَ آمَالُ الدُّفُوسِ غُرُورُ .
أَتَدْرِي إِذَا حَانَ الرَّحِيلُ وَقُرَّ بَتُّ ... مَطَايَا الْمَنَايَا مِنْدُكَ أَيَّنَ تَسِيرُ .
أَطَاعْتُ دَوَاعِيَ اللَّهِوِ فِي سَكْرَةِ الصَّبِيِّ ... أَمَّا لَكَ مِنْ شَيْبِ الْعِذَارِ
نَذِيرُ .

كَأَنِّي بِأَيَّامِ الْحَيَاةِ قَدْ انْقَضَتْ ... وَإِنْ طَالَ هَذَا الْعُمْرُ فَهُوَ قَصِيرُ .
وَفَاجَأَكَ مِرْتَادُ الْحِمَامِ وَيَا لَهَا ... زِيَارَةُ مَنْ لَا تَشْتَهِيهِ يَزُورُ .
وَأَصْبَحْتَ مَصْرُوعَ السَّقَامِ مُعْلَلًا ... يَقُولُونَ دَاءُ قَدْ أَلَمَّ يَسِيرُ .
وَهَيْهَاتَ بَلْ خَطْبُ عَظِيمٍ وَبَعْدَهُ ... عَظَائِمُ مِنْهَا الرَّاسِيَاتُ تُمُورُ .
وَلَمَّا تَيَفَّضَتْ الرَّحِيلُ وَلَمْ يَكُنْ ... لَدَيْكَ عَلَى مَا قَدْ أَتَاكَ نَثِيرُ